﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾ [الرّحمن: 24 - 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

امتنانٌ باستخراج ما في الباطن، ثم امتنان بتسيير على الظاهر

لمّا ذكر تعالى الخارجَ من البحر بماء السَّماء؛ أعقب بذِكر السّائرِ عليه بالهواءِ، وهي الجواري فيه، من السُّفن الكِبار والصِّغار، الفارغةِ والمشحونةِ، ولمّا كانت مع كونها عاليةً على الماء منغمسةً فيه، مع أنَّه ليس لها من نفسها إلّا الرُّسوب والغوص؛ عبَّر باحتواءِ البحر لها، ولمّا كانت تُرى على البعد كالجبال على وجه الماء؛ شبَّهها بالجبال الطّوال، ولمّا كان لهذه النِّعمة الجليلة عظيمُ الفضل؛ لما فيها من المنافع بالتَّكسُّب من البحر بالصَّيد وغيره، والتَّوصُّل إلى البلاد الشّاسعة للفوائد الهائلة؛ لمزيد الدَّلالة على إبداعه وقدرته على التَّصرُّف بكلِّ ما يريده على حَدٍّ سواء؛ لذا فقد كرَّر التَّقرير والتَّوبيخ، فقال: أتُكَذِّبانِ بنعمة البصر مِن تَحتِكم أو غيرِها من الأسفار، في محلِّ الأخطار، والإنجاء عند الاضطراب والرّيح في محلِّ الخسار، والإرشاد إلى ذلك بعد خَلْق مواد السُّفن وتعليمِ صنعتها وتسخيرها والفلك[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾: (جري) أصلٌ واحدٌ، وهو انسياحُ الشَّيءِ، يقال: جرى الماءُ يجري جِرْيَةً وجَرْيًا وجَرَيانًا، والسَّفينةُ الجاريةُ، وكذلك الشَّمسُ، والجاريةُ من النِّساءِ من ذلك أيضًا؛ لأنَّها تُستَجرَى في الخِدمة[2]، والمعنى المحوريُّ: انتقالٌ بحركةٍ خفيفةٍ سريعةٍ مسترسلةٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163 - 165.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جري).

متَّصلةٍ، كسَيلانِ الماء والدَّم، وكذا جَريُ الفرسِ[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقّة: 11]، أي: السَّفينة التي تجري في البحر، وجمعها: جَوارٍ، قال ﷺ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشّورى: 32][2].

2) ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: (نشأ) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ وسُموٍّ، ونشأ السَّحابُ: ارتفع، وأنشأه اللّهُ: رفعَه، ومنه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمّل: 6]، ويُراد بها القيام والانتصابُ للصَّلاة، ومن الباب: النَّشْءُ والنَّشَأُ: أحداثُ النّاس، والنّاشئُ: الشّابُّ الذي نشأ، وارتفعَ، وعلا، وأنشأ فلانٌ حديثًا، وأنشأ ينشد، ويقول[3]، وأنشأ يفعل كذا، أي: ابتَدَأ، ونشأ في بني فلانٍ: شَبَّ فيهم، وبابُه: قَطَع، وخَضَع[4]، والمعنى المحوريُّ: حدوثُ الشَّيءِ من جنسه مبتدأً صغيرًا آخِذًا في الاستغلاظ[5]، ومعنى المُنشآت في قَوْله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: السُّفُن المرفوعات الشُّرُع، والمُنشِئات: الرّافعاتُ الشُّرُع، وقالَ الفرّاء: مَن قَرَأ ﴿ٱلْمُنشِـَٔاتُ﴾؛ فهُنَّ اللّائي يُقْبِلن، ويُدبِرْن، و﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: أُقْبِلَ بهِنَّ، وأُدْبِر[6].

3) ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾: (علم) أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُّ على أثر بالشَّيء يتميَّز به عن غيره، ومن ذلك العَلامةُ، ويقال: علَّمتُ على الشَّيءِ علامةً، ويقال: أعْلَمَ الفارسُ؛ إذا كانتْ له علامةٌ في الحرب، والعَلَمُ: الرّايةُ، والجمع أعلامٌ، والعَلَمُ: الجبلُ، وكلُّ شيء يكون مَعْلَمًا: خِلافُ المَجْهَلِ، والعِلْمُ: نقيضُ الجهلِ، وقياسُه قياسُ العَلَم والعَلامة[7]، والمعنى المحوريُّ: الدَّلالة والهداية بمرتفع إلى معنًى، اتجاه أو طريق أو حَدٍّ، أو غيرِ ذلك، كما يدلُّ العَلَم في الصَّحراء على الاتِّجاهات والطُّرق والمواقع، وكما يُتَّخَذ الجبلُ عَلَمًا على مثل ذلك[8]، والعَلَمُ: الأثر الذي يُعْلَمُ به الشَّيء كعَلَم الطَّريق وعَلَم الجيش، وسُمّي الجبلُ عَلَمًا لذلك، وجمعه أعْلامٌ[9].

---

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جرى).
(2) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (جري).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نشأ).
(4) الرّازيّ، مختار الصّحاح: (نشأ).
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نشأ).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نشأ)، والفرّاء، معاني القرآن: 3/ 115، والزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 100.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(8) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (علم).
(9) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (علم).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تسييرُ السُّفنِ كـالأعـلام على من آياتِ عظَمته تعالى

بيَّنَ اللهُ تعالى في هذه الآيةِ نعمة أخرى من نِعَمِه التي مقرُّها البحار، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فامتنَّ بتسييرِ السُّفن الجارية المرفوعةِ الشِّراعِ، وهو ما يُسَمّى بالقُلُع، فله سبحانه وحدَه - لا لغيره - التَّصرُّف المُطلق في السُّفن المرفوعة القِلاع، التي تَجري في البحر، وهي تشبه الجبال في ضخامتها وعظمتها، فيركبها الناس، ويحملون عليها أمتعتهم وأنواعَ تجاراتهم، وغيرَ ذلك ممّا تدعو إليه حاجتُهم وضرورتُهم، وقد حفظها حافظُ السَّماوات والأرض، وهذه من نِعَم اللّه الجليلة، ومن الآيات الكثيرة التي تُشبه هذه الآيةَ في دلالتها على قدرة اللّه تعالى، وعلى مِننه على عباده بهذه السُّفن التي تُجرى في البحر بأمره، قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشّورى: 32 - 34][1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ بالواوِ في ﴿وَلَهُ﴾:

اتِّصالُ الحديثِ عـن البحـر ومـا فيـه مـن الآلاء والنِّعَمِ

عطفَ النَّظمُ الحكيمُ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾، على جملةِ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾؛ لأنَّ هذا من أحوالِ البَحرين، وقد أغنت إعادةُ لفظِ البحر عن ذكر ضميرِ البحرين الرّابطِ لجملةِ الحالِ بصاحبِها[2]، فالعطفُ هاهُنا جارٍ على سَنَنِ السّورةِ الكريمةِ في الفصلِ بين النِّعَم، كلٍّ على حِدَةٍ؛ لأنَّها تصلحُ دليلًا مستقلًّا للإبانةِ عن قدرةِ اللهِ، وأمّا عندما ترتبطُ النِّعمةُ في الآية بالنِّعمةِ في الآية التي سَبَقتها؛ فإنَّ من دَيْدَنِ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 138 - 139، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 830.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251.

السّورة العطفَ بين الآياتِ بالواو أو بالفاء؛ ليكون النَّظرُ إلى الآلاء في انتظامها وتركيبها داعيًا لحُسْنِ إدراكها وللاعتبارِ بما فيها منَ الامتنانِ من ناحيةٍ، وللدَّلالةِ الكُلّيَّةِ على القُدرةِ من ناحيةٍ أُخرى.

الغَرضُ من تقديمِ الخَبرِ:

التَّصريفُ الحقيقيُّ لله وحدَهُ

قدَّمَ البيانُ القرآنيُّ شبهَ الجملةِ ﴿وَلَهُ﴾ على المبتدأ ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾؛ للإشارةِ إلى أنَّ السّائر في الفُلك لا تصريفَ له، وإن ظهر له تصريفٌ، فهو لِضُعفه كَلا تصريفٍ، فالتَّصريفُ الحقيقيُّ في كلِّ شيءٍ عامَّةً، وفي الفلك خاصَّةً، له ﷻ لا لغيره، فلا تغترّوا بالأسبابِ الظّاهرةِ فتقفوا معها، فتُسنِدوا شيئًا من ذلك إليها، كما وقف أهلُ الاغترار، الذين هم أجْمَدُ أهلِ الأرض أذهانًا وأحقرُهم شأنًا، فقالوا بالاتِّحاد والوَحْدة[1].

معنى اللّامِ ودلالةُ التَّعبير بها:

المُلْكُ للهِ وحدَهُ

جاءتِ اللّام الجارَّةُ في قولِ اللهِ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾؛ لإفادَةِ المُلكِ، وللإخبار عن الجواري بأنَّها له؛ للتَّنبيه على أنَّ تحريكَ البحر أو الإنسانِ للسُّفن إقبالًا وإدبارًا لا يخرجُها عن مُلك الله[2]، وللإشعار بأنَّ كونَهم هم الذين صنعوها، لا يُخرِجها عن مُلكه تعالى وتصرُّفه؛ إذ هو الخالق الحقيقيُّ لهم ولها، وهو الذي سخَّر تلك السُّفنَ؛ لتَشُقَّ ماءَ البحرِ بأمره[3]، وكذلك فإنَّ في نسبةِ الجواري له سبحانه تذكيرًا بما لا يَغْفلُ عنه من له أدنى عقلٍ؛ فضلًا عن الفاضلِ الذَّكيِّ، فكلُّهم وهم في وسطِ المَوجِ منتظرون رحمةَ الله تعالى، معترفون بأنَّ أموالَهم وأرواحَهم في قبضة قدرة الله تعالى، وهم في ذلك يقولون: لك الفُلكُ، ولك المُلكُ، وينسبون البحرَ، والفُلكَ إليه، ثمَّ إذا خرجوا،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 139.

ونظروا إلى بُيوتهم المَبنيَّةِ بالحجارةِ والكِلْسِ، وخفيَت عليهم وجوهُ الهَلاكِ، يَدَعون مالكَ الفُلكِ، ويَنسَون ما كانوا ينسبون في البحر والفُلك إليه، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65][1].

سِرُّ تعريفِ المبتدأِ باللّامِ في ﴿ٱلْجَوَارِ﴾:

مخاطبةُ المتلقّي مخاطبةَ المُدرِكِ؛ لحَثِّه على مزيدِ التَّفكُّر

جاءتْ لفظةُ ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ مُعرَّفةً باللّامِ؛ للدَّلالةِ على معرفةِ المُخاطَبينَ بهذهِ السُّفن الجاريةِ في عُرضِ البحارِ، ولبيانِ سبق إدراكهم لها، فهو أدْعى للحثِّ على التَّفكُّرِ والتَّدبُّر في عظَمة اللّهِ تعالى، وهي كذلك مَجْلًى من مَجالي آثارِ نعمتِه وآلائِه على خلقه.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ جمعًا:

في تعظيمِ البحرِ والتَّرهيبِ من سطوتِهِ تذكيرٌ بعظيمِ قدرةِ اللهِ

في جمع ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ وتوحيدِ البحر وجمعِ الأعلام فائدةٌ عظيمةٌ، وهي أنَّ ذلك إشارةٌ إلى عظمة البحر، ولو قال: (في البحار)؛ لكانت كلُّ جارية في بحر، فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجواري التي هي كالجبال، وأمّا إذا كان البحر واحدًا، وفيه ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ التي هي كالجبال، يكون ذلك بحرًا عظيمًا، وساحلُه بعيدًا، فيكون الإنجاء بقدرةٍ كاملةٍ[2].

الغرض من حذفِ الموصوفِ، وإقامةِ الصِّفةِ مقامه:

التَّعبيرُ بأظهرِ صفاتِ السُّفنِ؛ لـلدَّلالةِ على مناطِ الامتنانِ

حَذَف البيانُ القرآنيُّ الموصوفَ، وهو (السُّفُنُ)، وأقام مقامَه صفتَه، وهي ﴿ٱلْجَوَارِ﴾، جمعُ جاريةٍ، والجارية هي السَّفينة، وهي صفةٌ جرت مجرى الأسماءِ[3]، سُمّيتْ بذلك؛ لأنَّها موضوعةٌ للجَري، وغلبت بسبب الاشتقاق على السَّفينة الجارية، ثمَّ صار يُطلَق عليها ذلك، وإن لم تَجْرِ، حتّى يقال للسَّفينة السّاكنة أو المشدودة على

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 353.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 353.
(3) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 10/ 166، والصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 502.

ساحل البحر: جاريةٌ؛ لما أنَّها تجري، فتُرِكَ الموصوفُ، وأُقيمَت الصِّفة مقامَه، فالتَّعبيرُ بـ﴿ٱلْجَوَارِ﴾؛ للدَّلالةِ على الامتنانِ بأظهرِ صفاتِ السَّفينةِ، وهي الجَريُ، ومن ذلك أنَّ اللّٰه تعالى لمّا أمر نوحًا ﷺ باتِّخاذ السَّفينة، قال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، ففي أوَّل الأمر قالَ لها: الفُلْك؛ لأنَّها بعدُ لم تكن جرتْ، ثمَّ سمّاها بعد عملِها سفينةً، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: 15]، وسمّاها جاريةً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقّة: 11]، فالفُلكُ قبلَ الكُلِّ، ثمَّ السَّفينةُ، ثم الجاريةُ[1]، وقد دلَّ على الموصوف المحذوفِ - وهي السُّفنُ - متَعَلَّقُه، وهو قوله: ﴿فِى ٱلْبَحْرِ﴾، والتَّقدير: السُّفُنُ الجواري؛ إذ لا يَجري في البحرِ غيرُ السُّفن[2].

دلالة التَّعبيرِ بـ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾:

التَّعبيرُ بالإنشاءِ أنسبُ لمقامِ الامتنانِ والتَّذكيرِ بالآلاءِ

تَعَدَّدَتْ أقوالُ المفسِّرين في المرادِ بـ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾، منها: أنَّها المرفوعات الشُّرُع، والمرفوعات البناء، والمُجْرَيات، والمصنوعات، والمُحْدَثات[3]، وكلُّها راجعةٌ لمعنى التَّنشئة؛ إذْ لمّا كانت حياةُ كلِّ شيءٍ تأتي بحالة من حالات الاكتمال في النشأة، وكانت السُّفنُ تُبْنَى من خشبٍ مجمَّعٍ، وتوصَلُ حتّى تصير على هيئةٍ تقبل المنافعَ الجمَّةَ، وكانت تُرَبَّى بذلكَ الجمع كما يُرَبَّى النَّباتُ والحيوانُ، وكانت ترتفع على البحر، ويُرفَع شِراعُها، وتحدُث في البحر بعد أن كانت مستَترة بجبال الأمواج؛ كان التَّعبير بالمنشآت أنسبَ لمقام الامتنانِ والتَّذكير بالنِّعم والآلاءِ، فهو سبحانه الذي أنشأها للنّاسِ، بأن هداهم إلى سِرِّ بنائها، وإرسالِها ورفعِ شراعها[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 353.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن: 5/ 100، والواحديّ، والتّفسير البسيط: 21/ 156، والماورديّ، النّكت والعيون: 5/ 431، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 164، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 172.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 163، والصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 502.

دلالة تَنَوُّعِ القراءات في ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾:

قراءةُ كسرِ الشّين على المجازِ والتَّوَسُّعِ، فكأنَّ السُّفنَ الجواري تُنشِئُ الأمواجَ

ورد في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ قراءتان متواترتان، فقرأ حَمْزَةُ وأبو بكر - بخِلافٍ عَنهُ -: ﴿ٱلْمُنشِـَٔاتُ﴾ بكَسْر الشّين، والباقونَ بفَتْحِها[1]، ومعنى قراءةِ حمزةَ وأبي بكرٍ أنَّها رافعةٌ شراعَها؛ بسبب استمساكها عن الرُّسوب، ومُنْشِئة للسَّير، أي: إنَّها تُنْشِئُ الموجَ بجَرْيِها، أو تُنشئ السَّيرَ إقبالًا وإدبارًا، أو التي رَفَعَتْ شُرُعَها، ونسبةُ الرَّفْع إليها مجازٌ، كما يقال: أنْشَأتِ السَّحابةُ المطرَ، والباقون بالفتح، وهو اسمٌ مفعول، أي: أنشأها اللّه أو النّاسُ، أو رفعوا شُرُعَها[2]، والآيةُ تحتمل المعنيين: الأوَّل والثّاني على القراءتين، باستعمال الاشتقاق في معنَيَي المشتق منه، ويكون في ذلك تذكيرٌ بنعمة إلهام النّاس إلى اختراع الشِّراع لإسراع سير السُّفن[3].

معنى ﴿فِي﴾ ودلالتُها، وسِرُّ التَّقييدِ بالجارِّ والمجرورِ:

الامتنانُ بتسخير البحرِ العظيمِ لمنافعِ الثَّقلَين

جاءتْ ﴿فِي﴾ في قولِه: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ بمعنى الظَّرفيَّةِ المكانيَّةِ، وذلك لاشتمالِ البحرِ على السُّفُنِ الجواري المنشَآت، فلا مكانَ لها للجَري سوى عُرْضِ البحر، وفي التَّقييدِ بالجارِّ والمجرورِ تذكيرٌ بما هو بديهيٌّ، يعرفُه كلُّ النّاسِ من غَرَقِ الأشياءِ في البحارِ، فكانَ من بيانِ الامتنانِ تذكيرُهم بتسخير البحرِ العظيمِ الأمواجِ الهائجِ الاضطرابِ؛ لما فيه منفعتُهم بالصَّيد والتِّجارة واستخراجِ اللُّؤلؤِ والمَرجانِ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالتَّشبيهِ:

في تشبيه السُّفن بالأعلام مع سلاسة حركتها، تنبيهٌ للأذهانِ

التَّشبيه بالأعلام دلَّ على أنَّ المرادَ بالمنشَآت السُّفنُ الكِبارُ؛ إذ إنَّ لفظ الجواري يشمل الصَّغير منها والكبير، وقيل: تُرى من

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 381، وتحبير التّيسير، ص: 571.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 166.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251 - 252.

بُعْدٍ كالجبال الطِّوال، وقيل: السُّفن تُنشِئ الموجَ حالَ جَرْيها، والموجُ كالأعلام[1]، والأظهر أن يكون المُراد تشبيهَ السُّفنِ الكِبار بالجبال في العِظَم والارتفاع، وجريانُها مع قامتِها وارتفاعِها على الماءِ أظهَرُ في بيان القُدرة، يُؤيِّد ذلك قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشّورى: 32]، والتَّشبيهُ هاهُنا من التَّشبيه المرسل المُجْمَل، أي: إنَّ السُّفنَ الجواري التي أُحْكِم إنشاؤها تُشْبِهُ الجبالَ في العِظَم والضَّخامةِ والثَّباتِ فوقَ الشَّيءِ، فذكر أداةَ التَّشبيهِ، وحَذفَ وجهَ الشَّبَهِ[2]، وعلى كلٍّ فهذا الوصفُ يُفيد تعظيمَ شأنِ السُّفنِ الجَواري في صنعها، المقتضي بداعةَ إلهام عقولِ البشر لصُنْعها، والمقتضي عِظَمَ المِنَّة بها؛ لأنَّ السُّفن أمْكَنُ لحَمْل العددِ الكثير من النّاس والمَتاع[3].

معنى الفاءِ ودلالتُها في ﴿فَبِأَىِّ﴾:

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم من بَيان مِنَّته تعالى بتسخير البحر لتسيير السُّفن كالأعلام الضِّخام، فكأنَّ أصل الكلام: إذا عرفتُم هذه النِّعمةَ العظيمةَ، وما سبقها من النِّعم والآلاء، وكان ثبوتُها واقعًا لا محالةَ؛ فبأيِّها تُكَذِّبان؟ إذ لا سبيلَ إلى التَّكذيبِ، فلا بدَّ من الإقرار التّامِّ، والتَّصديق الكاملِ، والإيمان الحقِّ، فهذه النِّعم دليلُ تفضُّلِه وإنعامِه، ولمّا كان تسييرُ السُّفنِ للتِّجارة واستخراجِ الحُليِّ واللُّؤلؤِ والمَرجان والانتقالِ في أقطار الأرضِ من جليل النِّعم؛ فقد كرَّرَ التَّقرير والتَّوبيخَ لكلِّ مَن أنكرَها.

بعد التَّذكير بنعمة تسيير السُّفن يأتي تفريعُ التَّقرير على قدرته تعالى

بيانُ المرادِ بـ(الآلاء) في هذا الموضعِ:

امتنَّ اللّهُ تعالى بنعمةٍ أخرى من نعمه العظيمة وآلائه الجسيمةِ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 353.
(2) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 14/ 217، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 310.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 251 - 252.

وهي نعمة تسيير السُّفنِ الضِّخام في عُرْض البحر؛ وذلك لأنَّ السُّفنَ من أعظم الأسباب للمَتاجر والمَكاسِب المنقولةِ من قُطْرٍ إلى قُطرٍ، وإقليم إلى إقليم، ممّا فيه صلاحٌ للنّاس في جَلْب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع، قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، أي: بنِعَمِهِ التي أنعم بها في هذه الجواري، مِن خَلْق موادِّها، والإرشادِ إلى أخذها، وكيفيَّة تركيبِها وإجرائِها في البحر، بأسبابٍ لا يَقْدرُ على خَلْقِها وجَمْعِها غيرُه[1].

نعمةُ تسييرِ السُّفنِ للتِّجارة ولِلانتقال في أقطار الأرضِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأعلام والجبال:

الأعلام: جمع عَلَم، وهو كلُّ شيء يكون مَعْلَمًا، خِلافَ المَجْهَلِ[2]، والمعنى المِحوريُّ: الدَّلالة والهداية، بمرتفع إلى معنًى: اتِّجاهٍ أو طريقٍ أو حَدٍّ أو غيرِ ذلك، كما يدلُّ العَلَمُ في الصَّحراء على الاتِّجاهات والطُّرق والمواقع، وكما يُتَّخَذ الجبلُ عَلَمًا على مثل ذلك[3]، والعَلَمُ: الأثر الذي يُعْلَمُ به الشَّيءُ، كعَلَم الطَّريقِ وعَلَم الجيشِ، وسُمّي الجبلُ عَلَمًا لذلك، وجَمعُه أعْلامٌ[4].

في العَلَم إشارةٌ إلى الدَّلالةِ والهدايةِ، وفي الجبل إشارةٌ إلى الارتفاعِ والشِّدَّةِ

وأمّا الجبلُ؛ فهو تجمُّعُ الشَّيء في ارتفاعٍ، وأن يكونَ شديدَ الأثناءِ مع غِلَظِ هَيئةٍ، والمُرادُ بالجبل في الطَّبيعة: أنَّهُ اسم لكل وتِدٍ من أوتاد الأرض؛ إذا عَظُم، وطال، والجبلُ من الرَّمل: العريضُ الطَّويلُ[5]، وجمعه: أجْبال وجِبال، وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾ [النّبأ: 6 - 7]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢﴾

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 9/ 105.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (علم).
(4) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (علم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (محمد جبل).

[النّازعات: 32]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾ [فاطر: 27][1]، ومن هنا فإنَّ تسميةَ الجبلِ بالعَلَم من التَّعبير المجازيِّ، الذي تُلاحَظُ فيه وظيفةٌ بعينها من وظائفِ الجَبل، وهي الدَّلالةُ على معالِم الأرضِ.

(1) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (محمد جبل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"